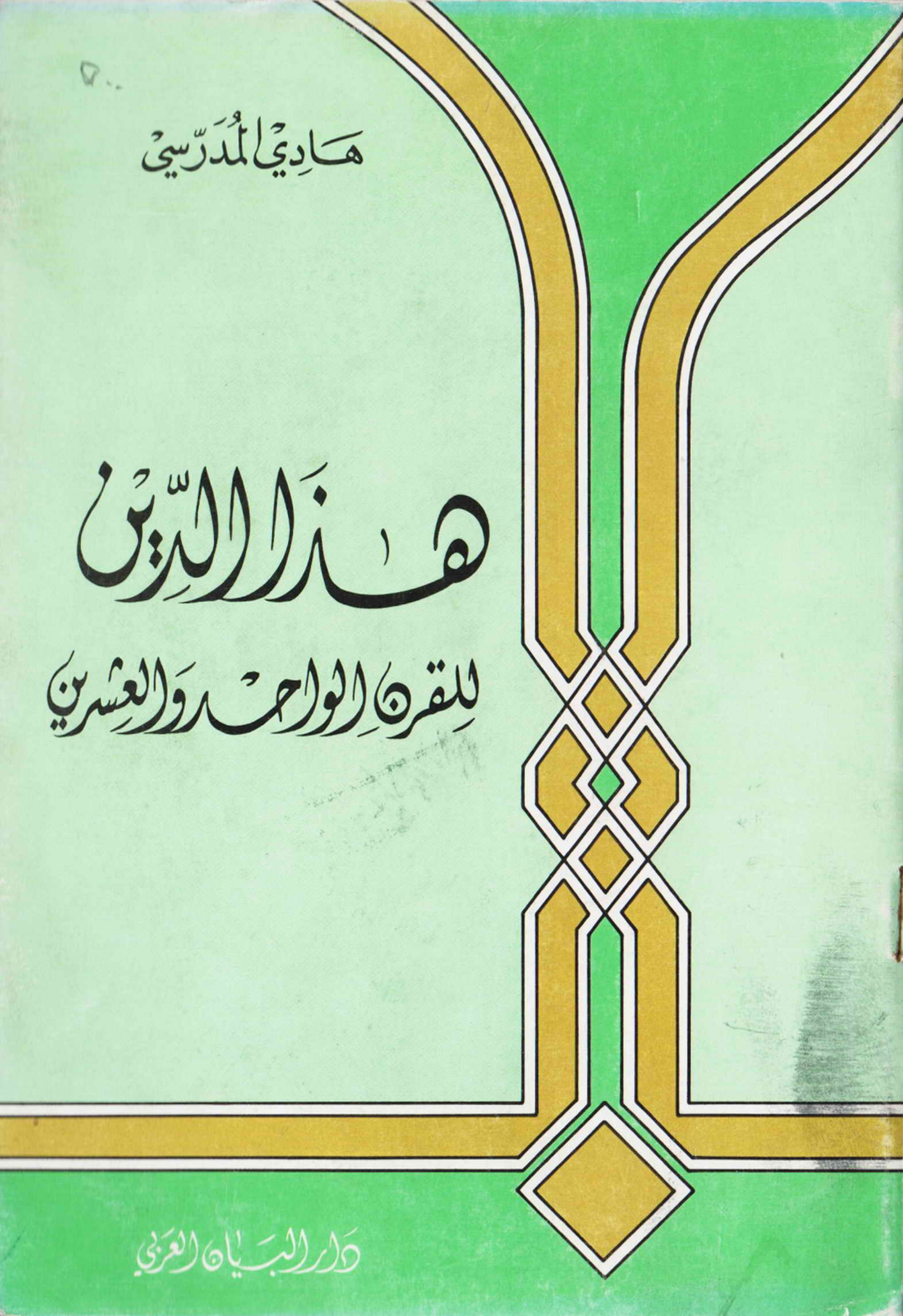


هادي المدرّسي
هذا الدّين
للقرن الواحد والعشرين
دار البيان العربي



هذا الدين

للقرن الواحد والعشرين

هادي المدرّسي



دار البيان العربي
ص ب : ١٥٥٢٣٩
بيروت - لبنان

الطبعة الثّانية
منقحة ومزيدة
١٤٠٩هـ-١٩٨٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ۞ الرحمن الرحيم ۞

مالك يوم الدين ۞ إياك نعبد وإياك

نستعين ۞ اهدنا الصراط المستقيم ۞

صراط الذين أنعمت عليهم غير

المغضوب عليهم ولا الضالين ۞

لم يكن الناس يعرفون : من اين تأتي الامطار ؟ وكيف تتكون ؟ وكيف تنزل ؟ ففسروا ذلك بالغيب . . !

ولم يكن الناس يعرفون : من اين تأتي الزلازل ؟ وكيف تتكون ؟ وكيف تنتهي لتترك وراءها الدمار والخراب ؟ فافترضوا وجود قوى غيبية تسيرها . . !

ولم يكن الناس يعرفون : كيف يتكون الجنين وكيف ينمو ؟ وكيف يولد ؟ فافترضوا وجود قوة خارقة هي التي تقوم بذلك . . !

ولم يكن الناس يعرفون لماذا تشرق الشمس ؟ ولماذا تغرب ؟ وكيف تسير ؟ فآمنوا بالله .

أما اليوم . . .

وبعد ان عرف الناس كيف تتكون الامطار ، وان الهواء يحمل معه بخار الماء من البحار ، وعندما يصعد الهواء عالياً في طبقات الجو يبرد ، ثم يأخذ في فقدان بعض حمولته من البخار ، وبفعل البرودة ينفصل البخار عن الهواء ، ويتحول الى عدد هائل من قطرات الماء . وتكون هذه القطرات صغيرة لدرجة لا تسمح لها بالسقوط فوق الارض ، فتطفو بعيداً فوق سطح الارض وتجتمع مع بعضها البعض كأفواج النحل . ويسمى كل فوج من قطرات الماء السحابة .

ويظل الهواء ـ في بعض الاحيان ـ بارداً لمدة طويلة وتتسبب البرودة في تحول البخار الى قطرات من الماء . فإذا كبرت القطرات تصبح أثقل من ان تظل سابحة في الهواء ، فتسقط القطرات الكبيرة ـ بفعل الجاذبية ـ على الارض ، وهذه هي الامطار . . .

الان . . .

وقد عرفوا كيف تتكون الزلازل ، وانها تحدث نتيجة غازات مكبوتة داخل الارض ، بفعل وجود

ترسبات من بقايا حيوانات بقيت هناك منذ ملايين السنوات ، فإذا تحركت الغازات لكي تخرج من الارض تحدث هذه الهزات العنيفة التي تهدم البيوت . .

الان . . .

وقد عرفوا قصة الجنين ، وكيف ان ٤٠٠ مليون حيوان منوي ـ شعب منوي كامل ـ ينحدر من القناة المنوية في الرجل باتجاه رحم المرأة ، حيث تقبع هناك « البويضة » ، وتتسابق الحيوانات المنوية في الوصول اليها ، و « السباق » الاول هو الذي يلتحم بالبويضة حيث انه يقترب منها ، ويرسل « انزيما » خاصاً يعتبر كرسول يخبر البويضة : ان ها قد جئت ! فتبعث له اشارة من جدارها الخارجي : ان اقترب ! فتتبارز منطقة صغيرة من الجدار الخارجي للبويضة ، فيقترب الحيوان المنوي من هذا التبارز ، واذا بالجدار ينفلق من جهته ، ويلجه الحيوان المنوي بقلنسوته المصفحة من جهة ثانية ، وتقترب النواتان ، وتندمج الصبغيات وتكتمل وإذا بالكروموسومات تتراكب على بعضها وتخلق انسان حديداً له صفات الاب والام معاً . .

الان . . .

وقد عرف الناس كيف تشرق الشمس وتغـرب ، وان ذلـك يحدث بفعـل دوران الارض حـول نفسهـا ، وليس بفعل دوران الشمس حول الارض كما كان يعتقد سابقاً .

الان . . وقد عرف الناس كل ذلك ، فلم يعودوا بحاجة الى الإيمان بالغيب ، والخالق ، والله !. .

بهـذا المنـطلق الـطفـولي يحـاول دراويش الافكـار الالحادية اقناعنا بأن الدين قد استنفذ اغراضه وان عهده قد انتهى ، وان هذا العصر هو عصر العلم والالحاد !

ولكن . .

أولاً ـ أصحيح ان كل المؤمنين بالله ، والمتمسكين بـالاديان أغبيـاء الى هـذه الـدرجـة ، وانهم من النـاس الذين لا يعرفون كيف تتكون الامطار ؟ ولماذا تنزل ؟

لقد جرت احصـائية مؤخـراً ، عن نسبة المؤمنـين بـالله في كـل من فـرنسـا ، والمـانيـا الاتحـاديـة ، والسويد . . . هناك حيث التقدم العلمي والتكنـولوجي

في ذروتـه وحيث يجد كـل فرد الحـريـة المـطلقـة في كـل شيء . . فماذا كانت النتيجة ؟

ـ ٩٩ ٪ من الشباب الفرنسي يؤمنون بالله . .

ـ ٩٥ ٪ من شبـاب المـانيـا الاتحـاديــة يؤمنـون بالله . .

ـ وكـانت النسبة القليلة في السـويد حيث لم يـزد عدد المؤمنين بالله عن ٦٩ ٪ .

فهـل هؤلاء لا يعرفـون أسباب سقـوط الامطار ، وتكـوّن الجنـين ، وحـدوث الـزلازل ، ودوران الارض حـول نفسها حتى افتـرضـوا وجـود الله ، مـع العلم ان « الاسكافي » هناك يحمل شهادة جامعية[1] ؟

ولماذا نفترض ـ نحن نيابة عن الآخـرين ـ اسبابـاً طفولية لايمانهم بالله ، وتمسكهم بتعاليم الانبياء ؟

لماذا لا نسألهم هم حتى نسمع منهم الجواب ؟

---

(١) لقد ألف خمسون عالماً من كبار علماء الطبيعـة كتاب بعنـوان « الله يتجلى في عصر العلم » ذكر فيـه كل واحـد منهم الامور العلميـة التي دفعته الى الايمان بالله تعالى .

ومن من المؤمنين بالله عندما سئل عن سبب إيمانه ، أجاب : لأنه لا يعرف سبب نزول الامطار ؟

حتى في القرون الماضية ، التي يفترض فيها ، ان الناس ، لم يكونوا يعرفون الكثير من الحقائق العلمية التي نعرفها نحن ، كان إيمانهم بالله ، وتمسكهم بالاديان نابعاً من « فهم » النظام ، وتحسس الاثار ، وليس نابعاً من « عدم فهم » النظام .

ها هي امرأة عجوز ، تجلس على قارعة الطريق وتعمل بالمغزل لتصنع به اليافاً دقيقة للثياب . . فيسألها أحد المارة :

ـ من خلق الكون ؟

فتجيب على الفور :

ـ رب العالمين .

فيعود ويسألها :

ـ وما الدليل على ذلك ؟

فتكف عن الغزل ، وتشير الى المغزل الذي يتوقف عن الحركة ، وتقول :

ـ هذا . . . !

وتعني ان مغــزلا بسيـطاً لا يمكن ان يتحــرك إلا بعلة ، وسبب ، فكيف يمكن ان تكون الحركـة الدائمـة في هذا الكون بلا سبب ؟

ويبدو ان الرجـل لم يفهم المغزى تمـاماً ، ولـذلك قالت له :

ـ البعرة تدل عـلى البعير . واثـر السير يـدل على المســير ، أفسماء كهـذه ، وأرض كهذه ، لا تـدلان على اللطيف الخبير ؟

والــواقـع فــان الحقيقـة هي عكس مــا يقـولــه الملحدون : فالسبب في الكفر بالله هو « الجهل » بحقيقة الكـون ، ودقـة الخلق ، و « الجهـل » بعـظمــة النـظام السائد في الحياة .

ثانياً ـ ماذا عرف الانسان من الكون ، حتى كـان عليه ان يبدل إيمانه الى كفر ؟

هـل تـوصـل الى « العلة » التي تـديــر الكـون ، وعرف انها غير الله ؟

ان كل ما عرفه الانسان ، لا يتعدى « زيادة » معرفته بالطبيعة ، ولكنه لم يستطع ان يفسرها . فما اكتشفه الانسان ليس إلا ظواهر الطبيعة ، وليس الدوافع والاسباب . .

والدين إنما يفسر لك الاسباب والدوافع الحقيقية التي وراء الكون .

أما العلم الحديث فهو يفسر لك الهيكل الظاهر للكون .

إن مثل هؤلاء مثل من يقول : ان البدوي عندما لم يكن يعرف كيف تعمل السيارة ، كان يؤمن بوجود مصنع لها . والآن إذا عرف كيف تعمل المحركات ، وكيف تحركها الطاقة ، فان عليه ان يكفر بوجود مصنع لها ؟! .

وكما يقول البروفسور « سيسيل » : « كانت العملية المدهشة في صيرورة الغذاء جزءاً من البدن تنسب من قبل إلى الله ، فأصبحت اليوم بالمشاهدة العملية تفاعلاً كيماوياً فهل أبطل هذا وجود الله ؟ فما القوة التي اخضعت العناصر الكيماوية لتصبح تفاعلاً

مفيداً ؟ » .

« إن الغـذاء بعد دخـوله في الجسم الانسـاني يمـر بمـراحـل كثيـرة خـلال نـظام ذاتي ، ومن المستحيـل ان يتحقق وجود هذا النـظام المدهش بـاتفاق محض . فقـد صار حتماً علينا ، بعد هـذه المشاهـدات ، ان نؤمن بأن الله يعمل بقوانينه العظمى التي خلق بها الحياة » . .

لقـد عرف الانسـان كيفية تكـوّن الامطار وكيفيـة نـزولهـا ، ولكن الانسـان لم يعـرف كيف صـارت هـذه الوقائع قوانين ؟

لقـد عـرف الانســان كيف ينـزلق ٤٠٠ مليــون حيوان منوي باتجاه بـويضة الانثى ، وكيف يلتحمـان ، ولكن من خلق الحيـوان المنـوي ؟ من جعله يتجـه نحـو بويضة الانثى ؟ هذا ما يفسره الدين . .

لقد كان الكـون معملا ضخـماً تحت غطاء ، ومـا كـان الانسان يعـرف الكثير من عـظمـة هـذا المعمـل ، وعظمة النظام السائـد فيه ، والآن رفـع الغطاء ، وبـدأ يتعرف على المعمل عن كثب ، فهل معنى ذلك انه عرف انـه لا وجود لخـالقه بمجـرد مشاهـدته لمـا يـدور داخـل

المعمل ؟

هـل يفهم منطقيـاً ان مشـاهـدتـه هـذه اثبتت ان المعمل جاء من تلقاء نفسه ، ويقوم بدوره ذاتياً ؟

بـالعكس ان ايماننـا زاد عن السابق يـوم اكتشفنـا دقـة صنـع الله ، وعـظمتـه . هـل تـريـدون امثلة عـلى ذلـك ؟ يقـول القـرآن الكـريم : ﴿**وفي الارض آيــات للمؤمنين ، وفي انفسكم أفلا تبصرون**﴾[1] ؟

ويـأتي العلم الحـديث ليكشف عن دقـة هــذه الآيـات . . ويقول عن بعض أجـزاء الجسم الانساني في ارقام وكلمات كالتالي :

١ ـ القلب :

وزن القلب حـوالي ٣١٢ غرامـاً حجمه في حجم قبضة اليد ، تبلغ ضربات قلب الرجل حوالي ٦٠ ـ ٨٠ د . وينبض في العـالم حوالي ٤٠ مليـون مرة ، وفي كـل نبضة يدخل القلب حوالي ربع رطل من الـدم ، ويضخ في يـوم واحد ٢٢٠٠ جـالـون من الـدم ، وحـوالي ٥٦

---

(١) سورة الذاريات : الآية ٢٠ ـ ٢١ .

مليـون جالـون على مـدى حيـاة بـأكملهـا ، تـرى هـل يستطيع محـرك آخر القيـام بمثل هـذا العمل الشـاق لمثل تلك الفترة الطويلة ، دون ان يحتاج لاصلاح ؟

في الـدم ٥ ملايـين كـريـة حمـراء في كـل مليمـتر مكعب واحد من الدم ، أي تبلغ في مجموع الدم العـام حوالي ٢٥ مليون كرية حمـراء ، وتفرش سـطحاً مقـداره ٣٤٥٠ متـراً مـربعـاً ، وإذا صفت كـريـات حمـر لبـدن واحـد ، بجانب بعضهـا البعض ، فـان مجمـوع أقـطار الكريات (قطر الكرية الواحدة في المتوسط ٧ مكـرون) ينشيء طولا يغلف الكرة الارضية ٦ ـ ٧ مرات .

٢ ـ الدم :

في الـدم الكامـل ـ كما قلنـا ـ ٢٥ مليـون مليـون كرية حمراء لنقل الاوكسيجين ، و٢٥ مليار كـرية بيضـاء لمقـاومة الجـراثيم ومناعـة البدن وهي بخمسـة أشكال ، ومليـون مليون صفيحـة دمويـة لحفظ الدم ضـد النـزف وايجاد التخثر في أي عرق نازف ، وتتكـون هذه الخـلايا بصـورة اساسيـة من مخ العـظام الـذي يصب في الـدم بمعـدل ٢,٥ مليون كـرية حمـراء في الثانيـة و٥ مـلايـين

صفيحة و ١٢٠ الف كرية بيضاء ، وجدير بالذكر ان الكريات الحمر تقوم بنقل ٦٠٠ ليتر من الاوكسجين لخلايا الجسم كل ٢٤ ساعة .

يضخ القلب يومياً ٨٠٠٠ ليتر من الدم ، داخل الجملة الدورانية التي تمتد حوالي ١٥٠ كيلو متر طولا عبر كل أنسجة البدن ، ناقلة الدم بما فيه من غذاء واوكسيجين ، ويكفي ان نعرف حيوية النقل عندما يتخرب الدماغ بشكل لا رجعة فيه عندما ينقطع ورود الأوكسيجين عنه لمدة خمس دقائق فقط .

٣ ـ الجسم :

يحوي الجسم البشري أكثر من ٦٠٠ عضلة ، وأكثر من ٢٠٠ عظمة ، وتحوي العضلة المتوسطة الحجم ١٠ ملايين ليف عضلي ، وتحوي عظمة الفخذ أكثر من ٣٠ الف عامود كلسي خاص .

عمل العضلات مجتمعة في اليوم يساوي ما حمولته ٢٠ طناً .

٤ ـ التنفس :

في كل يوم يتنفس الانسان ٢٥ الف مرة

(٢٥٠٠٠) يسحب فيهـا ١٨٥ متـراً مكعبـاً من الهـواء يتسـرب منهـا ٦,٥ أمتـار مكعبـة من الاوكسيجــين الى الدم .

٥ ـ المعدة :

في المعـدة ٣٥ مليون غـدة للافـراز ، وفي العفـج والصائم (الامعاء) ٣٦٠٠ زغابة معوية لـلامتصاص في كل ١ سم مربـع ، وفي الدقـائق ٢٥٠٠ ، مع العلم ان طول الامعاء حوالي ثمانية امتار .

٦ ـ الكبد :

يعتبـر الكبد أكبـر غدد البـدن ، إذ يـزن ١٥٠٠ غـرام ، ويحوي ٣٠٠ مليـار خلية يمكن ان تتجـدد كليـاً خلال اربعة أشهـر ، فخلايـاه اسرع من خـلايا الجنـين المعروفة بسرعة الانقسـام ، ووظائف الكبـد مدهشـة ما بين مستودعات السكر والـدهن والفيتامـين ، أو احتجاز السموم وقلبها الى مواد غير ضارة ، أو تحويل الفضلات مثل النشادر الناتج عن فضـلات البروتـين الى مادة غـير ضارة هي البولة ، ويبقى الكبد مـركز التمـوين الرئيسي لسكـر الدم ، وبـروتينات الـدم ، والحفـاظ عـلى تخثـره

بتكوين مولد الليفين ، كما يقوم بافراز الاصبغة ، وتكوين الكولسترول ذي الشخصيات السبع .

٧ ـ الكلية :

لقد ثبت ان الخلية المعوية تولد وتعيش وتموت في ٤٨ ساعة ، وتتجدد الخلايا المعوية باستمرار ، ولا يتبع هذا النظام في الجسم إلا الدم ، مع العلم ان طول الامعاء حوالي ٨ أمتار ، وتفرش مساحة ٤٠ متراً مربعاً للامتصاص بزغابات معوية تبلغ المليارات . حيث يتم امتصاص كافة أنواع الاغذية والماء والاملاح والفيتامينات بل وحتى المواد الضارة احياناً .

٨ ـ العين :

في العين الواحدة حوالي ١٤٠ مليون مستقبل للضوء ، وهي ما تسمى بالمخاريط والعصي، يبلغ عدد المخاريط في كل عين ٧ ملايين وعدد العصيات ١٣٠ مليوناً ، مهمة الاولى للضوء المركز والالوان ، والثانية للضوء الضعيف والعادي ، هذه المخاريط والعصي تمثل شبكية الاستقبال في العين ، والشبكية هذه هي نصف كرة ترقد في قاع العين وترى بفضل منظار القعر بشكل

جميل للغاية ، ويغلف الشبكية كرتان : الأولى غزيرة بالتروية الدموية ، والثانية طبقة صلبة حامية ، ويتحكم في حركات العين ستة عضلات ، ويشرف على التوازن الدماغ والمخيخ والبصلة السيسائية ، ويخرج من العين وكمحصلة لعمل الشبكية نصف مليون ليف عصبي ينقل الصورة بشكل ملون ، وبقي ان نقول ان الشبكية هي عشر طبقات وطبقة المخاريط والعصي هي واحدة فقط وفي اعمق مكان .

٩ ـ الأذن :

في عضو كورتي الذي يمثل شبكية الاذن ، وفيه حوالي ٣٠ الف خلية سمعية لنقل كافة أنواع الاصوات ، وحساسيته عظيمة .

١٠ ـ اللسان والاسنان :

يقوم اللسان بالمضغ والبلع وتذوق الطعام والتصويت ، فيه ١٧ عضلة تحركه الى كافة الجهات وثلاثة أعصاب لتنظيم نقل الحس ، وعلى سطح اللسان يوجد ٩٠٠٠ نتوء ذوقي لمعرفة طعم الحلو والحامض والمر والمالح ، وإن حركة اللسان في أي اتجاه ينتج حرفاً

معيناً وبذلك يستطيع الانسان ان ينطق بفصاحة ، واثناء المضغ والبلع تفرز ست غـدد بفوهـات ست اللعاب الى الفم لتطرية الطعام وتهيئته المبدئية ، بالاشتـراك مع ٣٦ جهازاً قاطعاً وطاحناً وهي الاسنان .

١١ ـ المبيض :

في المبيض عند المرأة بويضات جاهزة تصلح كـل واحدة ان تكون نصف إنسان ، يبلغ عددهـا في المبيض الـواحـد (٤٠٠,٠٠٠) بـويضـة ، ولا يفـرز من هـذه البويضات في كل دورة قمريـة ـ ٢٨ يومـاً ـ سوى بيضـة واحدة ، ويتناوب المبيضان في الافراز بالحالة الطبيعيـة ، ويعتبـر المبيض غـدة الجنس البـدئيـة كـما هـو الحـال في الخصية عند الذكر ، ولكن من الامـور الملفتة للنـظر ان مبيض المرأة في بطنهـا في حين ان خصيـة الرجـل خارج بـدنه ، لأن احتمـال موت النـطف أو اصـابـة الخصيـة بـالسرطـان وارد جداً إذا بقيت خصيـة الـرجـل داخـل البطن ولم تنزل الى كيس الصفن كـالمعتاد وهـو ما يسمى (بالخصية الهاجرة) .

١٢ ـ الخصية :

تعتبر الخصية عند الرجـل مصنع الانتـاج للنطف أو الحيوانات المنوية ، حيث تجتمع انابيب مجوفة وبأطوال تصل الى بضعة كيلومترات لتصنع النطف ومن جدارهـا الـداخلي حيث تتـطور خلايـا الجدار لتصـل الى مـرحلة النـطفة بـرأس طولـه ٥ ميكــرونـــات وذنب طـولـه ٥٥ ميكـرونا ، وتعتبـر النطفـة حاملة لامكـانية خلق نصف انســان ، ويجب ان نعلم ان دفقـة المني الـواحـدة عنــد الـرجل قـد تصل الى ٥٠٠ مليـون حيوان منـوي ، ولا يتخلق الانسان إلا من نطفة واحدة فقط ، بل ان التوأم ايضاً قد يتخلق من نطفة واحـدة اندمجت ببيضـة واحدة كما قد يتخلق من تلقيح بيضة بحيوانين منويين . وعـدد الانـابيب المنـويـة في الخصيـة حـوالي (٤٠٠٠) انبـوب منوي . . .

١٣ ـ الجلد :

تبلغ سمـاكة الجلد مقـداراً متفاوتـاً ما بـين ٠,٥ ملم عـلى جفون العـين الى ٦ ملم في اخمص القدمـين ، وباستثناء بعض المناطق في الجلد مثل بـاطن اليد وكعب

القـدم ، فان الجلد في جميـع المناطق مغـطى بـالشعـر ، ويختلف العـدد من ٤٠ الى أكـثر من ٨٠٠ شعـرة / سم المربع ، كـما يوجـد في كل سنتمـتر مـربـع ٣٠٠ مسـام عـرقي . وهذه المسـام تسمح بخـروج السوائل منـه الى خارج البدن ولا يسمح بالعكس ، أي دخـول السوائـل من خارج الجسم الى داخله في صمام في اتجاه واحد .

تحت سـطح الجلد يوجـد حـوالي ٥ ـ ١٥ مليـون مكيف لحـرارة البدن ، والمكيف هنـا هو الغـدة العرقيـة لأن تبخـر العرق من الجلد يمتص معـه نسبة عـاليـة من حرارة البدن ، وسطح الجلد الذي يبلغ ١,٨ متراً مربعاً تتفاوت فيه الغـدد العرقيـة قلة وكثرة . والغـدة العرقيـة هي انبوب متعرج طويل لضخ سائـل العرق الـذي يمتاز بصفـات خاصـة ويبلغ افـرازه اليـومي حـوالي الليـتر ، ومجموع اطوال أنابيب الغدد العرقية الموجودة تحت الجلد حوالي ٤ ـ ٥ كيلو مترات .

١٤ ـ الدماغ :

في الـدماغ ١٣ مليـار خلية عصبيـة و ١٠٠ مليار خلية دبقية استنادية تشكـل سداً مـارداً لحراسـة الخلايـا

العصبية من التأثر بأية مادة ، والاورام تنمو خاصة على حساب الخلايا الدبقية ، وكأن الخلايا العصبية مستعصية على السرطان ، يتغذى الدماغ من الغلوكوز كمادة سكرية فقط . بخلاف القلب الذي يتغذى من سكر الغلوكوز أو حمض اللبن ، فالسكر هو الحلوى الفاخرة التي يفضلها الدماغ بخلاف بقية اجهزة البدن ، وإذا وقع البدن في ازمة فان الدماغ يبقى العضو النبيل الذي يفضل على غيره في العطاء !

أليست كل هذه الدقة في الصنع ، والعلم بها ، دافعاً الى الايمان بالله ؟

ثم . . ماذا عرف الانسان ؟

إن الانسان عرف مجرد « اسماء » ولم يتعرف بعد على حقيقة أي شيء . . وكما قال القرآن : ﴿**ان هي إلا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم**﴾[1] .

أنت تسأل ـ: ما الارض ؟

فيجيبك العلم ـ: تراب ؟

---

(١) سورة النجم : الآية ٢٣ .

وتعود فتسأل ـ: ما التراب ؟

فيقول ـ: ذرات . .

وتسأل ـ: ما الذرات ؟

يقول ـ: الذرة : الكترونات تدور حول بروتون .

وتسأل ـ: ما الالكترونات ، وما البروتون ؟

يقول لك العلم ـ « لا ادري » .

إننا نعرف اسماء الاشياء . . هذا حديد ، هذا بترول ، هذا شجر ، هذا ماء ، الخ . .

ولكن ما حقيقة كل ذلك ؟ لا نعرف .

فكيف إذن ندعي أننا وصلنا الى معرفة حقائق الكون ، وانه لا حاجة بعد اليوم الى الايمان بالله ؟

ما لكم كيف تحكمون ؟

ثالثاً ـ ان المشكلة الكبرى ، في الجهل بالدين ، نشأت من ان بعض ادعياء الدين ، من آباء الكنيسة في القرون الوسطى ، وقفوا ضد العلم . وطبيعي ان موقفهم هذا لم يكن يمثل موقف الدين الذي انزله الله ،

خالق الكون ، ومانح العلم . ولكنه كان موقفاً شخصياً أنانياً .

بالاضافة الى انه كان موقف رجال الدين المسيحيين ولنفترض انه كان يمثل المسيحية ، فاي ارتباط بين ذلك وبين الاسلام ؟

إن آباء الكنيسة « حرّموا » العلم خوفاً على سلطانهم ، ولكن الاسلام « اوجب » العلم فقال : **﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ ﴾**[2]. وقال **طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة** .

بل واعتبر الاسلام العلماء ، هم المخاطبون بتعاليمه ودساتيره فقال : **﴿يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾**[1] ! .

وقد وردت كلمة « العلم » - في تركيباتها المختلفة - في ٧٧٠ موضعاً من القرآن .

---

(١) سورة الزمر : الآية ٩ .

(٢) سورة يونس : الآية ٥ .

ولـو كان العلم نقيضـاً للدين ، فهل كـان الدين يأمر بتحصيله ؟

إن الـدين كثيراً مـا يدعـو الانسان الى التـدبـر ، والتفكـر والتعلم ، والتفهم . لأنـه يعـرف انـه يـزداد وضـوحاً بـالعلم . ويزداد النـاس تمسكـاً بـه لـو كـانـوا يعلمون . .

رابعـاً ـ ان الـدين ، ليس مجـرد تـرف فكـري ، لتفسير الظواهـر ، فليس الدين علم طبقـات الارض ، ولا نظرية فيـزيائيـة ، عن تكون هـذا وذاك . وإنما هـو « منهاج حياة » بكل ما تعني الكلمة من معنى .

الدين يقول لك : كيف تعيش ؟

وكيف تعمل ؟

وكيف تحكم ؟

وكيف تعامل الناس ؟

وكيف تربي ؟

وكيف تتعلم ؟ . . . الخ .

وليس الـدين مجـرد « بيـان » خـطابي عن وجـود

الاشياء ، وليس فقط ان تؤمن بوجود الخالق ، بل هو « طريقة » للحياة أيضاً .

ولنا أن نتساءل : لماذا تحكمون على الدين قبل ان تفهموه ؟ لنفترض انه ليس منزلا من قبل الله خالق الانسان والحياة ، وانما هو نتاج الفكر البشري ، كأي نتاج بشري آخر ، لماذا لا تحاولون فهمه ؟ بل تحكمون عليه من بعيد ، بالاعدام جملة وتفصيلاً؟

خامساً - إن الدين حاجة نفسية ، يملأ فراغاً روحياً في الانسان ، فالضمير ينبض بالايمان بالغيب ، فاذا ملىء بالحقائق الدينية ، انطلق في طريق الخير والا امتلأ بالخرافات .

وهذه هي الوقائع التي تكشف لنا عن هذه الحقيقة :

* لقد راج سوق السحر ، الى درجة ان في لندن وحدها مائة الف ساحر ، يوزعون على الناس الخرافات والاساطير لملء فراغهم الروحي .

* مسلسلات التنجيم تملأ الصحف ، وكتب النبوءات الفلكية ، تعتبر من أكثر الكتب مبيعاً في

العالم .

لقد كفر الانسان بالغيب الالهي ، ليؤمن بدل ذلك بغيب المنجمين والفلكيين .

تحضير الارواح اصبح « موضة العلم » الجديدة وهديته في النصف الاخير من القرن العشرين . ويقبل على حلقات تحضير الارواح علماء أوروبا ، وامريكا بشغف بالغ . . .

وهو عملية فيها بعض الحقيقة ـ وبعض الخرافة ـ المهم : انه لا يسد شيئاً من جوع الانسان إلى الغيب .

سادساً ـ ان العلم طور « المادة » واضفى عليها الجمال ، واتاح فرصة الاستفادة منها للجميع ، ولكنه عجز عن ان يطور « الروح » ويغذيها ، وأمام طغيان المادية ، وضمور الروحانية انقسم الناس الى قسمين :

الأول ـ قسم لم يجد بدا من وضع حد لحياته فانتحر بعد ان « شبع » من المادة ، ولم يحصل على « شبع » الروح . ولذلك ، كانت نسبة الانتحار في السويد ـ جنة الرأسمالية ـ حيث تتوفر كل وسائل الرفاه المادي ، اعلى نسبة في العالم بعد المجر ـ جنة

الماركسية ـ . . .

الثاني ـ قسم اتجه نحو الوسائل الصناعية لسد جوع روحه : فاستعمل الحشيش ، والهيروين ، ويحاول الحصول على مواد مخدرة اخرى أكثر مفعولاً من ذلك . .

وحسب آخر احصائية فان هنالك ٤٠٠ مليون « حشاش » في العالم ، وفقط في امريكا يوجد ٢٠ مليون مدمن على المواد المخدرة . كما ان ٢٥ ٪ الى ٣٠ ٪ من طلاب وطالبات المدارس في نيويورك مدمنون على « الماريوانا » أو « الهيروين » .

كل ذلك لملء فراغ الروح . .

سابعاً ـ ان العلم اعطى الانسان انياباً بينما الدين يعطيه الضمير .

لقد ارتفعت قدرة الانسان على التخريب بنسبة مليار في المائة ، حسب تقدير العلماء ، فأصبح بامكانه تدمير الارض والقضاء على الحياة فيها في غضون ثلاث ساعات وعشرين دقيقة فقط ! .

وزادت قدرته على السرقة ، حتى ان رؤساء

الدول الكبرى يعقدون مؤتمرات من اجل « اتخاذ اجراءات مشددة لمنع اللصوص من سرقة القنابل الذرية ، والتهديد بها للوصول الى مطالبهم » .

العلم رفع من قدرة الانسان على الوصول الى ما يريد ، حتى الاسرار لم تعد اليوم اسراراً : فالاقمار الصناعية في الفضاء ، و « الاذان » الصناعية في اعماق المحيطات تسرق حتى همسة الانسان مع زوجته من على بعد مئات الاميال .

آلات التقاط وارسال تلفزيونية صنعها الامريكيون في شكل اوراق الشجر ، والورود ، والقوا بها في طريق « هوشي منه » ، وكانت هذه « الآلات » تلتقط اصوات القوافل الثائرة ، وترسلها في صورة اشارات الى القواعد الامريكية في « تايلند » ثم تقوم العقول الالكترونية هناك بتحليل الاشارات ، وصياغة قرارات لضرب تلك القوافل ، ومن ثم كانت تصدر أوامرها الى الطائرات المقنبلة التي تعمل بلا طيارين ، فتقوم هذه الطائرات بضرب القوافل بقنابل ميكروبية ، حيث كانت تصيب آلاف الجنود بالشلل ، أو العمى ، أو الاختناق .

. . آلات تفجير ، ألقتها اسرائيل على مخيمات

اللاجئين في لبنان في صورة « دمى » للاطفال ، وشوكولاته ، وأقلام وما شابه ذلك . .

وهكذا اعطى العلم انياباً للانسان ، بينما هو بحاجة الى وجدان وضمير ، وخوف من الله . .

حتى في الاتحاد السوفياتي الذي طبق فيه نظام صارم يعتمد على وسائل العلم ، لتطبيق العدل والمساواة كشف النقاب بعد « ستالين » ـ وعلى لسان المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي المنعقد سنة ١٩٥٦ ـ عن مظالم كثيرة ارتكبتها القيادة التي يرئسها ستالين نفسه ، وانه ارتكب بحق الشعب ما يرتكبه أي زعيم استعماري .

ترى لو كان هناك ايمان بالله ، وخضوع له هل كان يقع الظلم ، من قبل السلطة المكلفة هي بتطبيق العدالة ، واشاعة الحرية ؟

ان الدين يفهم اليوم ، أحسن من امس ، ويفهم غداً أحسن من اليوم ، لأن حقائق الدين عميقة ولذلك فهي بحاجة الى وعي اكثر ، وتقدم علمي رفيع لكي تفهم بشكل جيد . .

أ ـ مثلاً ـ قال الدين : **﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾**[1] . بمعنى ان كل كلمة تقال يجري حفظها ، وتسجيلها .

ويوم قال الدين هذه الكلمة ، لم يفهم الناس منها إلا ظاهرها . . ولكننا اليوم ، وبفضل الاكتشافات الدقيقة ، نعرف ان أي « كلمة » تخرج من فم الانسان فانها لا تضيع . . . لأنها سوف تصبح جزءاً من الامواج ، ومن ثم فانها تبقى في الاجواء ، وها هو الانسان يسعى لصناعة آلات تسجيل يمكنها ان تسجل الكلمات التي قيلت قبل مئات السنوات ، واصبحت اجزاءاً من الامواج . . ويستطيع العلم اليوم تسجيل اصوات سابقة ، ولكن المشكلة الاساسية أمامه هي في « فرز » هذه الاصوات . .

وربما يتمكن العلم من حل هذه المشكلة ، مما يعني ان نسمع صوت السيد المسيح وهو يخطب في الحواريين ، وصوت النبي ، وهو يدعو الناس الى التوحيد .

---

(١) سورة قٓ : الآية ١٨ .

اذن : فنحن نفهم اليـوم قول الـدين : ﴿**ما يلفظ من قول ، إلا لديـه رقيب عتيد**﴾[1] احسن من امس ، وسنفهمه غداً احسن من اليوم .

ب ـ مثـال آخـر : قـال الـدين : ﴿**وان ليس للانسان إلا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى**﴾[2] وفهم الناس منه : ان نتيجة السعي سوف ترى .

ولكننـا اليـوم نفهم ان نفس الـسعـي ، ونفس الفعـل ، سوف يـراه الانسان . لأن صـورة الانسـان ، ككلامه لا تنعـدم ، بل ان رائحتـه التي يتركهـا ، والتي يتميز كل فرد برائحة خاصة ، لا تنعدم .

ولقـد تـوصـل العلم الى اختـراع « آلـة تصـويـر كاميرا » تستطيع ان تصـور الانسان بعـد غيابـه من محل كان يتواجد فيه ، وتخرج الصورة كـأنما هـو الجالس مـع ان التصوير يتم في غيابه . .

وتستخدم هذه « الكـاميرا » عـادة في الكشف عن اللصـوص ، فبعد وقـوع الحادث ، تـأتي فرقـة البوليس

---

(١) سورة ق : الآية ١٨ .

(٢) سـورة النجم : الآيـة ٣٩ ـ ٤٠ .

ومعها الكاميرا ، وتلتقط عدة صور من مكان تواجد السارق ، وعند ظهورها يبدو السارق ، وهو يحاول فتح قفل ، أو جمع مال ، أو ما شابه ذلك . .

إنما المشكلة : ان الكاميرا هذه لا تستطيع حتى الآن ان تصور الانسان بعد غيابه إلا في مدة قصيرة .

المهم : ان « عمل » الانسان يبقى في هذا الكون ، وسوف يراه يوم القيامة كما قال الدين !

ج ـ مثال ثالث : قال الدين ﴿**ان بعض الظن اثم**﴾[1] وتساءل كثيرون كيف يعتبر الله « الظن » السيىء اثماً مع ان الظن مجرد « تفكير » وليس عملا خارجياً ، ومن ثم فلا ضرر منه يلحق بأحد ؟

ولكننا اليوم نفهم ، كيف اعتبر الله الظن السيىء اثماً . وكيف ان مجرد « النية الخيرة أو الشريرة » لها تأثير على الآخرين . .

فللروح تموجات . .

وللمخ تموجات . .

---

(١) سورة الحجرات : الآية ١٢ .

فانت تفكر في شيء ، فتخرج من مخك « امواج كثيرة »، تلفح « مخ » الآخر الجالس امامك ، فيفكر هو فيما تفكر فيه انت . .

وكثيراً ما يقع ان نفرين يتحدثان فيما بينهما فينوي احدهما ان يذكر حادثة معينة ، أو يسأل سؤالاً معيناً ، فيسبقه صاحبه الى ذكر نفس الحادثة ، أو يطرح نفس السؤال بحيث يندهش الاول من هذا الأمر . .

ولكن العلم حلل هذه المسألة . . . انه يقول : ان الرجل الاول حينما نوى ان يذكر الحادثة ، خرجت من مخه تموجات ، ومرت هذه التموجات على مخ صاحبه ، فتأثر بها ، وذكر الحادثة لزميله من دون ان يعرف هو لماذا تذكر هذه الحادثة ؟

وهكذا : إذا « ظننت » برجل شرا فانه ايضاً « سيظن » بك شراً . . لأن امواج « مخك » تؤثر على مخه » ويفكر فيك كما تفكر فيه .

والعكس بالعكس . . فعندما تنوي برجل خيراً ، فهو طبيعياً سينوي بك خيراً . .

من هنا اعتبر الاسلام للنية الحسنة ثواباً وللنية الشريرة عقاباً . .

وقال : « ألا وان النية هي العمل » . .

ويذهب « الامام علي » (عليه السلام) إلى أبعد من ذلك حينما يطالب من يريد قلع الشر من صدر غيره ، بأن يقلع هو الشر من صدره ويقول :

- « اقلع الشر من غيرك ، بقلعه من صدرك » . .

فأنت حينما تقلع الشر من صدرك ، وتزرع مكانه الخير ، تكون قد « بدلت » الموجة التي كانت « ستلفح » غيرك ، ومن ثم سوف يبدل هو موجته الشريرة ويجعلها خيرة !

وبهذا يفسر العلماء « توارد الخواطر » حيث ان شاعراً هنا ينظم قصيدة ، وبعد لحظات ، أو ساعات ، او أيام ، ينظم شاعر آخر نفس القصيدة في مكان بعيد عن مكان الاول . .

ويقول العلماء ان الشاعر الاول حينما « نظم » قصيدته ، خرجت القصيدة من مخه ، في صورة امواج ، وعندما مرت على مخ الشاعر الآخر ، التقطها فوراً ، وحولها الى قصيدة « طبق الاصل » !

من هنا جاء في التعـاليم الدينيـة : « واشعر قلبـك المحبة لغيرك » و « احب لغيرك ما تحبه لنفسك » . . .

لا . . .

لم يكن الـــدين نتيجـة « جهـــل » ، بـل نتيجـــة « علم » وهو بحاجة الى « علم » أكبر ، وتقدم في الفهم والوعي والوسائل حتى يفهم بشكل أحسن . .

ألم أقل لكم ان هذا الدين انما هـو للقرن الـواحد والعشرين ؟